# ضمائر العربية : المفهوم و الوظيفة

الأستاذة : دندوقة فوزية
قسم الأدب العربي
كلية الآداب و اللغـــات
جامعة محمد خيضر–بسكرة (الجزائر)

**ملخص:**

يسعى هذا المقال إلى تقديم التصور اللغوي العربي للضمير بكل جوانبه، من تعريف و تصنيف وتقسيم، بالوقوف على آراء نحاتنا و دارسينا، محاولا الإجابة عن بعض الإشكالات التي تفرض نفسها على المهتم بهذه القضية عند الحديث عن تقسيمات القدامى، و تبويبهم لمختلف المباحث النحوية.

**Résume** :

Cet article vise à fournir la perception linguistique arabe de la conscience dans tous ses aspects ; de la définition, la classification et de division, et nous nous concentrons sur le point de vue des sculpteurs et des chercheurs, ce travail est est venu de répondre à certaines questions s'imposer lorsque l'on parle de l'ancienne division, et l'arrangement des différents études grammaticales.

إن الروابط في العربية كثيرة؛ منها ما هو لفظي ظاهر ، كـأدوات العطف مثلا ، و منها ما هو معنوي كالإسناد، و من بين هذه الروابط ما يسميه النحاة " الأسماء المبهمة" و هي الضمائر ، و أسماء الإشارة و الموصولات التي اعتبرها القدامى تابعة للاسم حصرا لأقسام الكلم الثلاثة (اسم، فعل،حرف)، أما الدارسون المحدثون فقد جلب انتباههم أن بعض الكلمات لا يمكن أن ينطبق عليه تعريف القدماء لهذه الأقسام، فجرت محاولات عديدة لإعادة النظر في تصنيفها ، فكان أن قسمها أكثرهم تقسيما رباعيا يجعل الأسماء المبهمة قسما مستقلا بذاته، أطلق عليه بعضهم اسم الضمير، و بعضهم اسم الكناية.

و لعل أبرز الذين اتبعوا التقسيم الرباعي من المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه "من أسرار اللغة" الذي وضع فيه أسسا يرى وجوب مراعاتها في تحديد أجزاء الكلام و تعريفها، و هي: المعنى، الصيغة، وظيفة اللفظ في الكلام[1]، وهي التي يقر بناء عليها أن المحدثين قد وفقوا إلى تقسيم رباعي يعتبره أدق من تقسيم السلف، و هو : الاسم ، الضمير ، الفعل، الأداة[2]، حيث يعتبر الضمير (PRONOUN) قسما ثانيا و مستقلا من أقسام الكلم، يتضمن " ألفاظا معينة في كل لغة منها ما تركب من أكثر من هذا ، و لكنها على العموم ألفاظ صغيرة البنية، تستعيض بها اللغات عن تكرار الأسماء الظاهرة "[3]، و يمكن أن ندرج تحت هذا القسم الأنواع الآتية:

- الضمائر: و هي الألفاظ المعروفة في كتب النحو بهذا الاسم، مثل أنا، نحن ، أنت . . .
- ألفاظ الإشارة، مثل: هذا ، هذه. . .
- الموصولات ، مثل : الذي التي. . .

-العدد، مثل:ثلاثة ، أربعة. . .

فما كان يسميه النحاة القدامى أسماء مبهمة يسميه المحدثون ضميرا على سبيل التعميم ، و تبقى مع ذلك الألفاظ الدالة على أشخاص المتكلمين و الحاضرين و الغائبين إفرادا و تثنية و جمعا باسم الضمائر. أما المخزومي فيسميها كنايات أو إشارات ، و يعتبرها قسما مستقلا ، ينضاف إلى الفعل و الاسم و الأداة ، و يقول إنها تتجمع في مجموعات يندرج في كل منها ألفاظ تؤدي وظيفة معينة مشتركة ، و أهم هذه المجموعات : الضمائر ، الإشارة ، الموصول بجملة ، المستفهم به ، كلمات الشرط[4].

إن هذا التقسيم يثير نقطة مهمة حول التسمية أولا ، و حول استقلالية هذه الأجزاء عن الاسم ، فلِمَ يعدل المحدثون عن مصطلح (الأسماء المبهمة) ، و هل أصابوا بإخراجهم الضمير و ما شاكله من أجزاء الكلم عن الاسم؟

نبدأ محاولتنا في الإجابة عن هذين التساؤلين بتعريف الضمير، فقد جاء في القاموس المحيط أن مادة (ضمر) تدور حول الخفاء و الضآلة، فالضُمُر: هو الهزال، و الضمير هو العنب الذابل، و اللؤلؤ المضطمر: هو الذي في وسطه بعض انضمام، و تضمير الخيل عمل يقصد به إزالة ترهلها، فهذه الاستعمالات تشترك في معنى الضآلة و الصغر و النقصان، و الانكماش.و الضمير هو السر و ما في الخاطر، و ما يضمره الإنسان في قلبه و يخفيه، و الهوى المضمر: المخفي، و أضمرته الأرض أي غيبته بموت أو بسفر، و الضمار من المال: ما لا يرجى رجوعه... فهذه الاستعمالات تحمل معنى الخفاء، و الاستتار و الغيبة، و زوال الشيء عن العيان[5].

و بين المعنيين تقارب ملحوظ، فالشيء الهزيل، و العنب الضـامر... كلهـا تميل إلى الاختفاء، و الزوال، و التحول عن الحالة المعهودة، فالمصطلح النحوي (ضمير) يطلق على مجموعة من الكلمات صغيرة التكوين، ضـئيلة الحجم، و كل كلمة منها تعبر عن معنى مقصود لا يظهر للسامع، و لا ينجلي إلا بما يعين على ذلك من تكلم و خطاب، و سبق ذكر لغائب[6]. و قـد ورد في شرح الكافية أن الضمير "ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره لفظا أو معنى أو حكما"[7].

لقد عد النحاة الضمير من المبنيات، و حججهم التي استندوا عليها فـي ذلك كثيرة منهما مشابهته الحرف في الوضع، حيث إن أكثر الضمائر جاءت على حرف، أو حرفين، و مشابهته له في الافتقار؛ لأن المضمر لا تتم دلالته على مسماه إلا بضميمة من مشاهدة، أو غيرها، و مشابهته له في الجمـود، فهو لا يتصرف في لفظه بأي وجه من الوجوه، ولا يوصـف، ولا يتصـف به...

و على الرغم من هذه المشابهة إلا أن الضمائر يمكن أن تكون فاعلا و مفعولا، و مبتدأ و نعتا، و مضافا إليه... إذ يصلح أن يكنى بها عـن كل ما هو اسم، لذلك وجب ألا تكون قسما مستقلا من أقسام الكلم، "فإذا كان الضمير قائما بذاته أو مؤكدا كما يسمونه، فإنه يلعب دور الاسـم بالضـبط، لذلك وجب أن نسلكه في فصيلة الأسماء "[8]، فعندما وضع القـدامى للكلمـة أقساما ثلاثة كان مرجع بعضهم في ذلك وجهة نظر تنبني على تأليف الجملة و إسنادهـا، أي أنهـم جعلوا أسـاس التقسيم قائما على تركـيب الجملـة،

و صلاحية كل كلمة في هذا التركيب، و هي وجهة نظر وظيفية، فما كان من الكلمات صالحا لأن يقع مسندا في الجملة أو مسندا إليه فهو(الاسم) فيها مثل: زيد و قائم، و ما كان صالحا لأن يقع مسندا فقط فهو الفعل، مثل قام و يقوم، و ما كان غير صالح لذلك؛ فلا يقع مسندا و لا مسندا إليه فهو الحرف، مثل: من، عن...[9]

إن وجهة النظر هذه تنبني أساسا على ما للكلمة من وظيفة نحوية، و بناء على ذلك تحدد طبيعتها، فالضمائر أسماء ؛ لأنها تقوم بوظيفة الاسم تماما، فتقع مسندا كما تقع مسندا إليه، و طالما اعتبرت أسماء فلا بد أن تعترضنا قضية تعريفها و تنكيرها، فكثيرون هم الذين عدوها معارف، بل أعرف المعارف، ليليها العلم، ثم اسم الإشارة، ثم الموصول ثم المحلى، في حين عدها فريق آخر مبهمات، فرأى أنها تحتاج إلى إيضاح و تفسير.

يحتاج الضمير إلى ما يزيل إبهامه دون شك ، شأنه في ذلك شأن الإشاريات ، فلئن كانت ضمائر الحضور(أي التكلم، و الخطاب) تتضح بوجود أصحابها (المتكلم و المخاطب) ، فإن ضمير الغياب يحتاج إلى ما يفسره داخل التركيب ، و يعين المقصود به، و هذا الأمر لا يقتصر على العربية وحدها ، و لكنه عام في اللغات كلها[10].

ليس من العسير أن نلاحظ إذا أن ضمائر الغيبة " ألفاظ مبهمة توقع في اللبس ، و تحتاج إلى البيان ، و لا يمكن استعمالها بغير ما تشير إليه من أسماء ظاهرة ، بل حتى ضمائر التكلم التي ظنوا أنها من الوضوح و الجلاء بحيث لا تحتاج إلى بيان أو تعريف تبرهن استعمالات اللغة على أنها لا تكاد تزيد وضوحا عن غيرها من الأسماء الأخرى، و ليس ما يسميه النحاة بالتخصيص في العبارات(...نحن العرب، نحن الفرس) إلا بيانا للضمير

و توضيحا له عن طريق اسم ظاهر"[11] .

و من حيث الوظيفة فإن ضمائر العربية تلعب دورا كبيرا في عملية الربط، فالضمير البارز مثلا يؤدي وظيفته في وصل التراكيب كما تؤديها أدوات المعاني الرابطة، إلا أنه يختلف عنها في كونه يعتمد على إعادة الذكر في حين تعتمد تلك الأدوات على معانيها الوظيفية التي تحدد نوع العلاقة المنشأة ، كأدوات الشرط مثلا، و أدوات العطف، و حروف الجر...[12]

فضلا عن وظيفة الربط فإن للضمائر قيمة استعمالية تكمن في "الاختصار و الإيجاز في التعبير بالاستغناء عن إعادة ما سبق ذكره من أسماء "[13]، فضمير الغيبة في قوله تعالى:﴿**أعد الله لهم مغفرة**﴾[14] قام مقام عشرين ظاهرا[15]، و لو تكرر الاسم المقصود في كل مرة لذهب ذلك بجمال الأسلوب و تماسك لغته ، "فالجملة كالعقد الذي يجمع بين حباته سلك وثيق،

و لا بد أن يبقى السلك متصلا، و إلا ما استطاع الرائي أن يفهم من شكله معنى العقد، و هذا هو الارتباط، فإذا انقطع السلك، و كنا نريد له أن يتصل، و أن يفهم منه معنى العقد عالجنا انقطاعه بطريق الربط"[16]، كما لابد أن نحافظ على اتصاله بأجمل صورة، فلا نترك بين حبات العقد ثغرات تشينه، و لا يكون ذلك إلا بوضع الضمير في محله. فلو تأملنا الجملة(رأيت شيخا عليلا جسمه) لوجدنا بنيتها المضمرة كالآتي (رأيت شيخا ، جسم الشيخ عليل)

و كأن الجملتين بهذا الشكل منفصلتين، سواء أكان الشيخ في الجملة الثانية هو نفسه في الجملة الأولى ، أم أن الانفصال بينهما تام، و الشيخ الأول غير الثاني، و لكن لأن الجملة جاءت بصورة ارتبط فيها المركب الفعلي بالمركب الاسمي بواسطة الضمير أُمن اللبس، مع ضمان الاختصار

و عدم التكرار.

نخلص من هذا أن الضمائر مورفيمات وظيفية تتغير وظائفها النحوية بتغير المقامات التي تتنزلها، و هي عناصر تحول بالزيادة بعد الحذف.

أما عن أقسامها فإنها تنقسم باعتبار الدلالة إلى ثلاثة أنواع، هي ضمير المتكلم و ضمير المخاطب، و ضمير الغائب، و ضمائر المتكلم سبعة، و هي: أنا، كقولنا: أنا طالب جامعي. نحن، نحو قولنا: نحن أبناء جيل واحد. نا، نحو: اللهم اغفر لنا و ارحمنا و تب علينا. التاء، نحو: قرأت الدرس. الياء، نحو: اللهم اغفر لي و لوالدي و للمؤمنين جميعا. إياي، نحو: إياي فاحترمون. إيانا، نحو: إيانا تكرمون.

و بلغت ضمائر المخاطب ستة عشر(16)، و هي: أنتَ، نحو : اللهم لا إله إلا أنت. أنتِ، نحو : أنتِ طالبة مجدة. أنتما، نحو: أنتما أعز من أملك. أنتم، نحو : أنتم أهلي و عشيرتي. أنتن، نحو: أنتن أمهات المستقبل.

إياك، نحو، إياك نحترم. إياكما، نحو : إياكما نوقر. إياكم، نحو: إياكم و الغش. إياكن، نحو: إياكن والتبرج. تاء المتكلم، نحو : أنجزتُ واجباتي. تاء المخاطب، نحو: قلتَ ما لا يجوز. ألف الاثنين، نحو: لا تلعبا هنا. واو الجماعة، نحو : ادخلوا المسجد. ياء المخاطبة، نحو: لم تقبلين دون ابتسامة. نون النسوة، نحو: الممرضات يعتنين بالمرضى، و يداوين الجرحى.

و ضمائر الغائب، التي بلغت أربعة عشر (14)، و هي: هو، نحو: هو صديقي. هي، محو: هي أمي من الرضاع. هما، نحو: هما رفيقا دربي. هم، نحو: هم جيل المستقبل. هن، نحو: هن طيبات. إياه، نحو: إياها أكرمت، إياهما، نحو: إياهما احترمت. إياهم، نحو : إياهم أشكر على ما صنعوا. إياهن، نحو: إياهن أقدر لما يفعلن من خير. هاء الغائب، نحو: ضربه والده.

ألف الاثنين، نحو قوله تعالى: قاما فصليا ركعة لله. واو الجماعة، نحو: دخلوا المسجد. نون النسوة، تركن الواجبات تتراكم.

و تنقسم باعتبار الظهور وعدمه إلى الضمير البارز، و هو الذي له صورة في اللفظ، ويذكر في الكلام، نحو: أنت، في قولنا: أنت تلميذ مجتهد، ونحو: التاء، في قولنا: قرأت الكتاب، و ينقسم بدوره إلى قسمين: ضمير متصل، و ضمير منفصل، أما الضمائر المتصلة فهي التي لا تستقل لفظا ، و لكنها تتصل بالأفعال و الأسماء و الأدوات ، وتكون كالجزء من الكلمة ، وعلاماتها أنه لا يفتتح بها الكلام ، و لا تقع بعد إلا. و له أنواع ثلاثة، هي :

– الضمائر المتصلة التي تقع في محل رفع: تاء المتكلم : قمتُ، تاء المخاطب: قمتَ. قمتِ. قمتما، قمتم، قمتن. ياء المخاطبة: قومي تقومين .نون النسوة: قمن يقمن. ألف الاثنين : قوما، تقومان ، وقاما يقومان. واو الجماعة: قوموا، تقومون، قاموا يقومون . نون النسوة: قمن يقمن.

– الضمائر المتصلة التي تقع في محل نصب و جر ، و هي ياء المتكلم : أعطاني والدي." نا" المتكلمين: كافأنا، قأمنا. كاف الخطاب: ساعدكَ، ساعدكِ، نصركما، نصركم، نصركن. كتابكَ، كتابكِ، كتابكما، كتابكم، كتابكن. هاء الغيبة: كرمه، كرمها، كرمهما، كرمهم، كرمهن .قلمه، قلمها، قلمهما، قلمهم، قلمهن.

–الضمائر المشتركة في الرفع والنصب والجر، و هي :نا المتكلمين: في الرفع: شربنا. في النصب: إننا. في الجر: لنا.

أما الضمائر المنفصلة فهي التي تستقل لفظا، و لا تعتمد في وجودها على فعل أو اسم أو أداة، و هي نوعان: ضمائر منفصلة تقع في محل رفع: للمتكلم : أنا ، نحن

للمخاطب : أنتَ ، أنتِ ، أنتما ، أنتم ، أنتن .

للغائب : هو ، هي ، هما ، هم ، هن .

- ضمائرمنفصلة تقع في محل نصب :

للمتكلم : إياي ، إيانا .

للمخاطب : إياكِ ، إياكِ ، إياكما ، إياكم ، إياكن .

للغائب : إياه ، إياها ، إياهما ، إياهم ، إياهن .

و القسم الثاني للضمائر باعتبار الظهور الضمير المستتر، و لا شك في أن فكرة هذا الضمير في العربية من اختراع النحاة، و ذلك حين رأوا أن الفعل لابد له من فاعل يسند إليه، و يذكر بعده، كقولنا (صام المسلم ، أفطر الصائم...) فإن لم يظهر الفاعل ، و لم يسند إليه ضمير بارز قدرنا ضميرا مستترا بعده يجعل عملية الإسناد صحيحة[17]، فإن تقدم (المسلم) في الجملة السابقة، بحيث تحولت من الفعلية إلى الاسمية (المسلم صام) وجب تقدير ضمير يعود على المبتدأ (الفاعل في الأصل) ، ليصبح الفعل (صام) و فاعله (الضمير المستتر/هو) خبرا(للمسلم)، و يتخذ برجشتراسر رأيا مخالفا لهذا المذهب، فيقول : "الأكثر و الأقرب للاحتمال هو أن يكون معنى (زيد جاء) عين معنى (جاء زيد)، و إنما الفرق بينهما أني إذا قلت (جاء زيد) أخبرت عن مجيئه إخبارا محضا، و لا يخالطه شيء غيره، فتقديم الفعل هو العبارة المألوفة، و إذا قلت (زيد جاء) كان مرادي أن أنبه به السامع إلى أن الذي جاء هو (زيد)، كأني قلت : زيد جاء لا غيره..."[18]. إن الذي يعنينا من هذا القول ليس الخلاف بين الجملتين الاسمية و الفعلية، بل هو إشارة برجشتراسر إلى أن الفاعل في الجملتين هو نفسه ، فيكون الفعل في الجملة الاسمية مستغنيا بفاعله المتقدم عن ضمير مستتر، و هو رأي يذهب إليه

بعض الدارسين المحدثين، الذين يرجحون إلغاء الضمير المستتر، و النظـــر إلى الفعل (صام) في الجملة السابقة (المسلم صام) على أنه مستغن بصـــيغته الفعلية عن الربط ، و لا حاجة له إلى ضمير يدل على من يعــود عليـــه[19]، اعتمادا على أن العربية جعلت البنية الصرفية للفعل قرينة لفظية تغني عـــن تقدير ضمير رابط، لان صيغة الفعل تشير إلى صاحبه[20]، لكن إذا افترضـــنا أن الضمير المستتر لا وجود له في اللغة لأصبح من العسير، بل من المحال تفسير نشوء علاقة بين جملتين منفصلتين في الأصل، كقولنا مـــثلا (رأيـــت الطفل يحبو) فالبنية المضمرة لهذه الجملة التي اتخذت شكلا مختصرا هـــي كالآتي : (رأيت الطفل + الطفل يحبو) و لولا إضمار (الطفل) فـــي الجملـــة الثانية تجنبا لإعادة الذكر لكان المتكلم مضطرا إلى تكراره أو إلـــى فصـــل الجملتين بما يوهم السامع أن المفعول به في الأولى محدث الفعل في الثانية، فكانت فكرة تقدير الضمير تصور ذكي يحمد لنحاة العربية[21].

من أنواع الضمائر في العربية أيضا ضمير الفصل، و هو ضـــمير منفصل، يسميه أهل البصرة فصلا ويسميه أهل الكوفة عمادا، الغرض منـــه التوكيد، والإشعار بتمام الاسم الذي قبله، وكماله، وأن الاسم الـــوارد بعـــده يكون خبرا، وليس صفة، وإيجاب فائدة المسند ثابتة للمسند إليه. و يشـــترط في هذا الضمير:

1 ــ أن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعة الموضع ، ويكون هو الأول في المعنى .

2 ــ أن يقع بين معرفتين ، أو بين معرفة ، وما قاربها من النكرات .

و يأتي عادة في المواضع الآتية :

1- بين المبتدأ والخبر ، نحو قوله تعالى : ﴿ **فأولئك هم العادون**﴾[22]

2- بين اسم كان أو إحدى أخواتها وبين خبرها، نحو: كان علي هو البطل .
3- بين اسم إن أو إحدى أخواتها وبين خبرها، إن المؤمنين هم الفائزون .
4- بين فاعل فعل الأمر و معطوفه، نحو قوله تعالى: ﴿ **قلنا يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة**﴾[23] .
5- بين الضمير المتصل الواقع فاعلا للفعل الماضي، وبين معطوفه، نحو : راجعت أنا ورفاقي دروسنا.

و قد اختلف النحاة في إعراب ضمير الفصل، وتضاربت حوله الآراء، و تجنبا لما يمكن أن نقع فيه من خلاف، نحاول أن نتبنى في هذا المقام جملة من المبادئ اللسانية التي قد تقودنا إلى تحديد ماهية هذا الضمير، و معرفة قيمته اللغوية .

تبدو وظيفة الضمير (هو) في قولنا محمد هو الشاعر، واضحة؛ حيث يفصل على مذهب البصريين بين أن يكون (الشاعر) نعتا ، و أن يكون خبرا، و لنقارن بين هذه الجملة في تركيبها الحالي (محمد هو الشاعر)، و بين قولنا (محمد الشاعر) ، حيث يتوهم السامع في تلقيه للجملة الثانية أن كلمة (الشاعر) وصف لـ(محمد) ، فيبقى منتظرا الخبر، إذ يتوقع أن يكون محمد الشاعر مريضٌ ، أو غائب ، أو حاصل على جائزة...إلخ، لأن كلمتي (محمد) و (الشاعر) تساوتا في التعريف، و نحن نعرف أن العربية تشترط في الخبر أن يكون نكرة لتحصل به الفائدة ، كما تشترط في المبتدأ التعريف ، فلا يجوز أن نخبر عن مجهول، أما و الكلمتين معرفة ، فالخبر النكرة لم يذكر بعد (كما يتوهم السامع) ، و لإزالة ما يتوهم ، ومنعا لالتباس المعنى جيء بالضمير (هو)؛ ليؤكد للسامع أولا أن الجملة تامة (محمد هو الشاعر) ، و ليؤكد له أيضا أن (الشاعر) لا تصف محمدا بل تخبر عنه، فقام هذا

الضمير بمهمة الفصل بين وظيفتين نحويتين يمكن أن تأخذهما كلمة واحدة ، محددا أيهما الوظيفة المناسبة.

إن العربية لغة تميل إلى التخفيف عادة، و لا تزيد على تركيب معين ما لم تبتغ معنى جديدا ، و إلا كان الزائد من الكلام حشوا ، لا طائل منه ، فالضمير (هو) في الجملة السابقة فاصل بين النعت و الخبر – كما سلف و أن ذكرنا – أي أنه دخل على جملة (محمد الشاعر) كعنصر تحويل، فغير المبنى الذي غير بدوره المعنى .

يتضح إذا أن الضمير (هو) في هذه الجملة و غيرها مما شاكلها في التركيب ، ضمير فصل يقع مبتدأ ثانيا في جملته، و يخبر مع خبره عن المبتدأ الأول.

إضافة إلى ضمير الشأن الذي أطلق عليه نحاة العربية أسماء عدة، فسموه ضمير الأمر، و ضمير القصة، و ضمير الشأن و ضمير الحكاية... و هو ضمير غير شخصي، فلا يعود على شخص معين، وإنما على الجملة التي تقع بعده سواء أكانت اسمية ، أم فعلية ، على النقيض من سائر الضمائر الأخرى التي تعود على الاسم الذي تقدمها .

ويأتي ضمير الشأن في أول الجملة، تكون بعده مفسرة له، وموضحة معناه، ولها محل من الإعراب خلافا لسائر المفسرات، وقد سمي بهذه التسمية لأنه يدل على الحال، أو الحديث الذي سيدور في الجملة بعده، نحو قوله تعالى: ﴿ **قل هو الله أحد**﴾[24]، و لا خلاف بين النحاة حول هذا الضمير.

يتضح مما سبق أن الضمير كلمة جاءت لتؤدي وظيفة الربط بين كلمتين أو مجموعة كلمات أخرى، فتحقق في ذلك الانسجام و الترابط

اللغوي، و يجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى تقسيم التوزيعيين للفاظم اللغة إلى [25]:

– اللفاظم الحرة، وهي التي تتضمن في بنيتها دليل وظيفتها، ونمثل لها بأسماء الزمان والمكان والمدن... فعندما أقول: زرت صديقي في (الجزائر)، فكلمة (الجزائر) –في هذا السياق وخارجه– واضحة المعنى والدلالة، وهي حاملة لوظيفتها بشكل واضح لذلك فهي لفظم حر.

– اللفاظم الوظيفية: وهي اللفاظم التي تستعمل أو يؤتى بها لوظيفة الربط بين الوظائف الأخرى، أو لتعيين وظيفة لفظة أخرى، مثل: إلى، عن، بـــ ...

– اللفاظم المرتبطة: وهي الكلمات التي تأتي متصلة ببعضها البعض، ومرتبطة لأداء وظيفة تركيبية معينة، فتحدد علاقتها ببقية التراكيب بلفظم وظيفي أو بمرتبتها بالنسبة للعناصر الأخرى في ذلك التركيب مثل: كتابك، مدرستي...

و يعنينا من هذا التقسيم النوع الثاني من اللفاظم الذي يؤدي وظيفة الربط بين العناصر الأخرى، و إن كان هذا النوع عاما، شاملا عند التوزيعيين لكل ما يمكن أن يصل بين جزئين في تركيب واحد؛ فإنه يشمل بصفة مباشرة الضمائر التي تملك قدرة الوصل بين أكثر من تركيب؛ إنها عناصر الربط في النص الواحد و بين النصوص المتباعدة زمانا و مكانا، و هذا ما يسمى في الدراسات الحديثة بالإحالة الداخلية و الإحالة الخارجية ، ثم إن دوره يتعدى ذلك إلى الإحالة القبلية و الإحالة البعدية، و مثال ذلك بقوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾[26]، حيث يحلل المفسرون هذه الآية بقولهم إن (ذلك) من سورة البقرة إحالة إلى فاتحة

الكتاب. و هذا دليل واضح على قدرة الضمائر أن تصل بين الكلمات أو حتى النصوص على الرغم مما يفصلها عن بعض من تراكيب تطول او تقصر.

و في الختام يمكننا أن نقول – استفادة من نظريات الدرس اللساني الحديث– إن الضمائر في العربية أسماء ، يؤكد ذلك ما تؤديه من وظائف نحوية فهي لا تقع في الجملة إلا موقع الاسم، و لا تحل إلا محله، فتعوضه و يعوضها، و هي أسماء مبهمة تحتاج إلى ما يوضح غموضها، و يفسر معناها، و الدليل على ذلك أن شرط استعمالها أن تسبق باسم ظاهر معروف لدى كل من السامع و المتكلم، حتى تكون واضحة في الأذهان، بالإضافة إلى ما يعتور البنية الأصلية للضمير من تغيير، بزيادة أحد عناصر التحويل ، لتحقيق زيادة في المعنى، لأن كل زائد في مبنى ما يؤدي بالضرورة إلى زيادة في معناه، و قياسا على ما ورد عن العرب في جواز ترتيب الكلمات، و قياسا على ما ورد عنهم أيضا من أوجه المطابقة في العدد و الجنس، فإن عناصر الزيادة على مختلف أنواعها و أشكالها لا بد أن تسير في خط المبنى قبل أن تعطي معنى[27]، فالمعروف عن الضمائر مثلا أن معناها لا يتحدد إلا بذكر من تعود عليه سلفا ، فإن كان المذكور في الجملة مفردا ، لا بد أن يكون الضمير مفردا ، و إن كان جمعا، لا بد أن يكون الضمير عائدا على جماعة ، و إن كان مؤنثا ، كان الضمير كذلك... و اعتبارنا الضمائر عناصر تحويل لا ينفي بحال من الأحوال أن يتغير معناها هي الأخرى بتغيير بنيتها، و ذلك عندما نضيف عليها عنصرا تحويليا يجعل دلالتها الجديدة تختلف قليلا أو كثيرا عما وضعت له في الأصل.

# الهوامـــش و المراجــع

[1] - إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة مكتبة الانجلو المصرية،ط1 ، 1966 ،ص 265

[2]– م ن /ص 266 و ما بعدها

[3]– م ن / ص ن

[4]– مهدي المخزومي ، في النحو العربي قواعد و تطبيق ، مطبعة مصطفى البابي و أولاده ، مصر ، ط1 ، 1966 ، ص47 و ما بعدها.

[5]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ، بيــروت ، ط3 ، 1994، مــادة (ضـــمر)، 491/4 ، و ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، تعليق الشــيخ أبـــو الوفـــا نصـــر الهوريني المصري الشافعي، دار الكتاب الحديث الجزائر، ط1/ 2004 ، مادة (ضـــمر)، ص 454.

[6]–محمد عبد الله جبر، الضمائر في اللغة العربية ، دار المعارف ، مصر 1980 ، ص12

[7]– نور الدين عبد الرحمن الجامي ، شرح كافية ابن الحاجب ، تحقبيق أسامة طه الرفاعي ، دار الآفاق العربية ، القاهرة، ط1 2003 ، 76/2

[8]- فندريس ، اللغة ترجمة الدواخلي و القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، 1950، ص 157

[9]– ينظر : الأشباه و النظائر في النحو الدولي ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، مؤسســة الرسالة بيروت ، ط1 ، 1985 ، 3/2

[10]– محمد عبد الله جبر ، الضمائر ، ص 95

[11]– إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، ص275

[12]– مصطفى حميدة ، نظام الارتباط و الربط ، ص 152 ، 153

[13]- محمد عبد الله جبر ، الضمائر ، ص103

[14]- الأحزاب /35

[15]- السيوطي ، الأشباه و النظائر 30/1

[16]- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط و الربط في تركيب الجملة العربية ، مكتبة لبنان، ناشرون ، ط1 ، 1977 ، ص 195

[17]- م ن/ ص153

[18]- برجشتراسر ، التطور النحوي للغة العربية ، تعليق رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1982 ، ص133 ، نقلا عن : مصطفى حميدة ، نظام الارتباط و الربط ، ص153 ، 154

[19]- تمام حسان اللغة العربية معناها و مبناها، عالم الكتب ، القاهرة ، ط3 ، 1998 ، ص 336، 337

[20]- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط و الربط، ص 196

[21]- م ن / ص 154 ، 155

[22]- المؤمنون /07

[23]- البقرة /35

[24]- الإخلاص 1

[25]- كاترين فوك ، بيارلي قوفيك ، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 ، ص 47

[26]- البقرة/2

[27]- خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة و تراكيبها، عالم المعرفة، ط1، 1984، ص 96، 97